الثقافات الجيوسياسية

تحرير جيرارد تول وجون أجنيو

مقدمة : ثقافة الجغرافية السياسية

جيرارد تول و جون أجنيو

ترجمة بتصرف

أ.د. مضر خليل عمر

إن **المعنى المنطقي للجغرافيا السياسية** هو دراسة كيفية تأثير الجغرافيا على السياسة . ولفترة طويلة كان هذا يعني محاولة إظهار كيف أثرت السمات الطبيعية للأرض - توزيع القارات والمحيطات والسلاسل الجبلية والأنهار - على الطرق التي قسمت بها البشرية العالم إلى وحدات سياسية مثل الدول والإمبراطوريات وكيف تنافست هذه الوحدات مع بعضها البعض على القوة والنفوذ العالميين . واليوم تغير المعنى السائد بشكل كبير (أجنو وآخرون، 2002). فمن ناحية ، تفهم الجغرافيا الآن على أنها تشمل الاختلافات الاجتماعية والاقتصادية بين الأماكن دون أن تُعزى بالضرورة إلى الاختلافات المادية . ومن ناحية أخرى ، اتسع **نطاق السياسة** ليشمل مسائل الهوية السياسية (كيف تحدد الجماعات الاجتماعية هويتها وأهدافها السياسية) والحركات السياسية (لماذا بدأت هذه الحركة أو الحزب السياسي هنا ولماذا تحظى بهذا النمط الجغرافي أو ذاك من الدعم ؟). والأمر الأكثر جوهرية هو أن **"الجغرافيا"** نفسها ينظَر إليها الآن بكونها اختياراً وترتيباً لموضوعات وقضايا معينة ــ من تسمية القارات وتقسيم العالم إلى مناطق إلى تحديد مناطق معينة بكونها ذات أهمية "استراتيجية" إلى حد ما ــ وليس بكونها مجموعة من الحقائق الموضوعية التي لا جدال فيها (لويس وويجن، 1997). وفي هذا الفهم ، لا يمكن فصل المعرفة بسهولة عن السلطة . ذلك أن أولئك الذين يتمتعون بالسلطة ، والقدرة على قيادة الآخرين ، قادرون على تحديد ما يعد جغرافياً . ومن وجهة النظر هذه ، انعكس **معنى الجغرافيا السياسية** تمامًا : إذ أصبحت الآن **دراسة لكيفية تأثير السياسة على الجغرافيا.**

ثقافة الجغرافيا السياسية

وصف عالم جغرافية الثقافة الأميركي الشهير كارل ساور ذات مرة **الجغرافيا السياسية** بأنها "الطفل المشاغب" للجغرافيا . كانت الجغرافيا السياسية في سنوات ما بين الحربين العالميتين من القرن العشرين مثيرة للجدل بالتأكيد ، حيث سيطر عليها في العديد من البلدان مثل ألمانيا وإيطاليا واليابان الفكر الجيوسياسي العسكري والقومي المكرس لطموحات كل بلدان الإمبريالية (باركر، 1998). في حين حققت جغرافية الثقافة درجة معينة من الاحترام والمكانة الفكرية في الولايات المتحدة من خلال الإنتاج العلمي لساور و"مدرسته بيركلي" ، عانت الجغرافيا السياسية من وصمة العار ارتباطها ، من ناحية ، بالعسكرة والقومية ، ومن ناحية أخرى ، بالالتزامات السياسية الواضحة التي حكمت عليها بأنها "غير علمية" في نظر ساور وأقرانه . والواقع أن صعود جغرافية الثقافة كان ميسرًا من خلال الانفصال النشط عن القضايا السياسية . فقد أظهر جغرافيو الثقافة اهتمامًا ضئيلًا بالسياسة كما أظهر الجغرافيون السياسيون بالثقافة .

بعد الحرب العالمية الثانية ، إذا كانت الجغرافيا السياسية التي تطورت غير مهتمة بشكل مدروس بتقديم حكم سياسي صريح وتطمح إلى شكل من أشكال الموضوعية التقنية ، مع التركيز في معظمه على وصف وتصنيف الدول وحدودها ، أو على دراسات الجغرافيا الانتخابية ، فإن جغرافية الثقافة كانت عمياء تمامًا عن السياقات السياسية للقضايا الثقافية التي درستها (انتشار التكنولوجيات ، والجغرافيات العرقية ،

وتوزيع أسماء الأماكن) والآثار السياسية لما تمت دراسته (مفضلة العالم قبل عام 1800 لتجنب السياسة المعاصرة تمامًا) (سميث، 1989) . وكما هو الحال في العديد من المجالات ، وضعت الحرب الباردة في الفترة 1947-1989 حدودًا ضيقة لدراسة السياسة والنقد المستنير سياسياً في الولايات المتحدة وأماكن أخرى

وعلى المستوى الفكري ، يكمن جزء من المشكلة في كيفية **تعريف الثقافة** (دنكان، 1980) . فقد كان يُنظَر إليها كونها آثاراً لـ"التقاليد" أو استراتيجيات الماضي القوية رمزياً لتنظيم الحياة التي استمرت حتى الوقت الحاضر، إما من خلال الانتقال بين الأجيال أو نتيجة للعيش في أماكن حيث كانت "الثقافة" في كل مكان "ظاهرة" . وبطبيعة الحال ، كان هذا يعني عدم إعطاء أي اهتمام يذكر لعلاقات القوة داخل المجموعات المحلية أو ملاحظة كيف تتغير الثقافات نتيجة للغزو والقمع . وقد أدى التركيز على انتشار السمات كمصدر للتغيير الثقافي إلى إهمال منهجي للعلاقات السياسية المتعلقة بالهيمنة والتبعية داخل ثقافة معينة وفيما يتصل بالثقافات الأخرى .

كانت الثقافة موجودة تقريباً ، ومن عجيب المفارقات ، كحالة طبيعية ، دون الانقسامات والصراعات المرتبطة بالسياسة . ولم يكتسب هذا المفهوم أهمية كبيرة في التحليل السياسي إلا مع إعادة اختراع مفهوم **الثقافة** ، الذي يُفهَم الآن كونه نظاماً من العلامات التي تعطي معنى لأنشطة أخرى (على سبيل المثال، جاكسون، 1989). ويحقق هذا المفهوم ذلك من خلال لفت الانتباه إلى اعتماد السياسة (والجغرافيا السياسية) على الهويات الثقافية والتصنيفات الجغرافية المحددة مسبقاً . ومن وجهة النظر هذه ، فإن العمل السياسي ، والتواصل ، والتمثيل لا يمكن أن يكون ممكناً إلا عندما يستند إلى علامات ورموز ثقافية مفهومة بشكل عام . وتتلخص الجغرافيا السياسية المستنيرة ثقافياً في تحديد وإظهار التأثيرات المتبادلة التكوين للعلامات والرموز الثقافية ، من ناحية ، والأفعال السياسية ، من ناحية أخرى ، فيما يتعلق بالمواقع الجغرافية ، والافتراضات والتصنيفات .

الجغرافيا السياسية الثقافية

لقد اجتاحت الموجات الاجتماعية والفكرية التي ساعدت في تحويل الجغرافيا ككل منذ سبعينيات القرن العشرين فصاعدًا أيضًا المجال الفرعي للجغرافيا السياسية ، مما أدى إلى تجديد أهميتها الفكرية وإحياء جوهرها الفكري . تتميز الجغرافيا السياسية المتجددة التي حددت هذا المجال على مدى السنوات العشرين الماضية بمجموعة متنوعة من وجهات النظر : المناهج التحليلية المكانية التي تواصل الاهتمام الراسخ لهذا المجال الفرعي بالأنماط المكانية وأشكال التنظيم السياسي (أو لوفلين، 1986) ، والمنظورات السياسية الاقتصادية التي تعالج العمليات البنيوية لسلطة الدولة والاقتصاد العالمي ، والمسارات الثقافية للبحث التي تستكشف التشابكات المتعددة بين الجغرافيا السياسية والدول مع أسئلة الهوية الثقافية والخطاب السياسي وإعادة الإنتاج الثقافي للحياة اليومية (أجنو، 1997).

ومع تحول مجال جغرافية الثقافة نتيجة للتحول الثقافي الذي شهدته العلوم الاجتماعية في ثمانينيات القرن العشرين ، أصبحت الروابط الحميمة بين الثقافي والسياسي واضحة ومعترف بها على نحو متزايد . والآن يُنظَر إلى الجغرافيات الثقافية كونها متشابكة مع الجغرافيات السياسية ، ويُنظَر إلى الجغرافيات السياسية كونها مستدامة ومتحولة من خلال الخطابات والممارسات الثقافية (جودليوسكا وسميث، 1984). وتوفر دراسات الحدود الوطنية مثالاً واضحاً بشكل خاص لتأثير التركيز على التفسير الثقافي . فإذا كانت الحدود السياسية ينظَر إليها في وقت من الأوقات في ضوء طبيعي في المقام الأول ، كونها ناتجة عن سمات وظروف طبيعية ، فقد أصبح يُنظَر إليها على نحو متزايد كونها نتيجة لعمليات التعريف الثقافي والتفاوض عليه . على

سبيل المثال ، كان أنسي باسي (1996) مدافعاً مقنعاً عن الموقف القائل بأن الحدود الوطنية هي نتيجة للتغيرات في الوعي السياسي وبالتالي فهي مشروطة ثقافياً وليست سمات ثابتة للمشهد السياسي العالمي . ولعل العنصر الأكثر وضوحاً في التلاقح الفكري بين الفهم الجديد للثقافة والجغرافيا السياسية كان نزع ملكية أكثر السلالات العسكرية والقومية في الجغرافيا السياسية : الجغرافيا السياسية (أو تواتايل، 1996؛ أو تواتايل وأجنيو، 1992).

لقد اخترع عالم السياسة السويدي رودولف كيلن مصطلح الجغرافيا السياسية في عام 1899 للإشارة إلى تسخير المعرفة الجغرافية لتعزيز أهداف الدول القومية المحددة . وإذا كان كيلن مهتمًا بمناقشة ادعاء القوميين النرويجيين (كانت النرويج جزءًا من السويد حتى عام 1905) بأن العمود الفقري الجبلي في إسكندنافيا يشكل حدودًا طبيعية بين شعبين متميزين من خلال القول بأن البحار والأنهار أكثر أهمية بكثير، فقد تم تطبيق مصطلح "الجيوسياسية" من قبل المفكرين الألمان في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين ، وأشهرهم كارل هاوشوفر، على النماذج الرسمية للعداوات بين القوى العظمى بناءً على موقعها العالمي النسبي والحاجة إلى إنشاء مجالات نفوذ إقليمية لتغذية رغبتها في التوسع .

ومن خلال هذه الصياغة الرسمية ، جاءت فكرة فريدريش راتزل عن الدول كونها كيانات عضوية لتؤثر على السياسة الخارجية الألمانية بعد وصول النازيين إلى السلطة الحكومية في ألمانيا في عام 1933. وبعد الحرب العالمية الثانية ، أعطى الارتباط بالنازيين كلمة "الجغرافيا السياسية" دلالة سلبية . ورغم استخدامها بشكل غير رسمي للإشارة إلى البنية الجغرافية للعلاقات الدولية في الخمسينيات والستينيات ، إلا أنها لم تعد إلى الجغرافيا السياسية كمفهوم أساسي إلا منذ السبعينيات . ويمكن النظر إلى الجغرافيا السياسية ، التي كانت معنية بشكل كلاسيكي بالتأثير المباشر للجغرافيا الطبيعية والموقع النسبي للدول على الصراع الدولي والتوسع الإمبراطوري والحرب بين الدول ، في مفهوم بديل جذري ، كونها العملية الاجتماعية والثقافية العميقة التي من خلالها يستطيع القادة والمواطنون العاديون في بعض أقوى دول العالم أن يفهموا العالم من الناحية الجيوسياسية .

وبدلاً من السؤال الحتمي الرائد "كيف تؤثر التربة أو الموقع الجغرافي للدولة على سياستها الخارجية ؟" ، برز سؤال أكثر ثقافية : **"كيف تعمل الثقافة الجيوسياسية للدولة على إضفاء طابع مكاني على السياسة العالمية وتملأها ببعض الدراما والمخاطر المحددة ، والأصدقاء والأعداء ؟"** في هذا السؤال الأخير، يتحدى مفهوم "الجيوسياسية" كحقيقة ثابتة ومحددة للطبيعة من خلال فهمها كونها تقليدًا للخطاب والنقاش حول هوية الدولة القومية الإقليمية وعلاقتها بالعالم الأوسع ، اصبحت "الجيوسياسية" "ثقافة جيوسياسية" . إن هذا الفهم الأخير للجيوسياسية يعيد تفسير الحجج الجيوسياسية الطبيعية على ما يبدو – على سبيل المثال ، أن الولايات المتحدة تتصرف بالطريقة التي تتصرف بها لأنها محاطة بمحيطين كبيرين ومنفصلة عن مراكز القوة الأخرى في العالم – كونها تقاليد جيوسياسية للحجج والخطاب (حول الثقافة الجيوسياسية الروسية ، ينظر سميث، 1999). ومن منظورها ، تتميز الثقافة الجيوسياسية للولايات المتحدة بتقاليد متنافسة من العالمية (فالولايات المتحدة تمثل تطلعات البشرية) والانعزالية (فالولايات المتحدة تشكل مجالاً متميزاً وفاضلاً وينبغي لها أن تقلل من تعاملها مع الفساد خارج حدودها)، وكلاهما يلقيان نفسيهما في مصطلحات فلسفية مجردة وليس جغرافية ، كما يتوسطهما أمية جغرافية وظيفية عن العالم خارج شواطئ أميركا (أجنو، 1984).

إن مثل هذه الجغرافيا السياسية النقدية تلفت الانتباه إلى كيفية استخدام الادعاءات والحجج الجغرافية لتوجيه وتبرير مختلف إجراءات السياسة الخارجية وتزويد ممارسات التنمية البيئية والاقتصادية بالمعلومات . هذا النهج ليس خالياً من الخلافات الداخلية الكبيرة . فإذا كان أحد الاتجاهات ينطوي على الالتزام النسبي

بفهم ما بعد الحداثة للجيوسياسية كنوع من الخطاب ، فإن اتجاهاً آخر يتعلق بالدرجة التي ينبغي للدول أن تحتفظ بها بمركزية التركيز . ويظل بعض العلماء أكثر التزامًا نسبيًا بالمناهج النظرية الحديثة ، التي تنطوي على ادعاءات حول العمليات التكنولوجية والاقتصادية كونها "وراء" التحولات الخطابية ، في حين يرفض آخرون إمكانية وجود مثل هذه الأنطولوجيات ، مفضلين التركيز إلى حد كبير على التكوين الخطابي للادعاءات الأنطولوجية (على سبيل المثال، أجنيو وكوربريدج، 1995، مقابل أو تواثيل، 1996). ومرة أخرى ، في حين يسكن البعض عالمًا ما يزال يتألف إلى حد كبير من الدول ومن قبلها ، يشكك آخرون في مثل هذا التقسيم الفريد للعالم ، مفضلين التفكير من حيث "التوازن" النسبي بين العمليات على مقاييس جغرافية مختلفة أو عبر شبكات الجهات الفاعلة (على سبيل المثال، شارب، 2000، مقابل ثريفت، 2000).

تُبرز الفصول في هذا القسم الجغرافيا السياسية الثقافية بكل ثرائها ، وتسلط الضوء على علماء يقدمون اليوم مساهمات بارزة في ثقافة الجغرافيا السياسية تتجاوز حدود هذا الدليل (دالبي، 2002؛ باسي، 1996؛ شارب، 2000؛ سبارك، قيد النشر). تتحدى جميع المقالات وتتجاوز التناقضات والمعارضات التي تميز الفكر الحداثي الكلاسيكي : داخل / خارج الدول ، الخاص / العام للحياة السياسية الجنسانية ، المحلي / الوطني / العالمي للعلاقات القياسية الحديثة ، والطبيعة / الثقافة ، حيث تُعد الأخيرة واحدة من أكثر التناقضات تأسيسًا في الحداثة . إن أحداثاً مثل هجمات الحادي عشر من سبتمبر / أيلول على البنتاغون ومركز التجارة العالمي تكشف عن أهمية التحرك خارج هذه الثنائيات من أجل فهم عالمنا والتحديات التي يواجهها (لوك، 2002).

المباحث

يستعرض المبحث الأول ، "الحدود في عالم العولمة" بقلم أنسي باسي ، الاهتمام التقليدي للجغرافيا السياسية بالحدود والتخوم ، ويوضح كيف أعيد تصور هذه المفاهيم في أعقاب "التحول الثقافي" عبر العلوم الاجتماعية . ويزعم باسي أن الحدود هي عمليات ثقافية ديناميكية تتطلب النظر والتحقيق في السياسات الثقافية لتشكيل الدولة ، وبناء الهوية الوطنية والعمليات اليومية للتنشئة الاجتماعية - المكانية . وتخدم الممارسات العادية التي ترعاها الدولة مثل التلويح بالعلم أو دراسة الحدود في الفصل الدراسي في دعم الأنظمة الثقافية للمعنى التي تجعل العالم مكانياً إلى "هنا" مألوف و"هناك" خطير محتمل . ولكن اليوم ، تواجه التنشئة الاجتماعية المكانية التي تروج لها الدولة منافسة من أشكال أكثر انتشاراً وعابرة للحدود الوطنية للتنشئة الاجتماعية المكانية مثل محطة إم تي في ، وغرف الدردشة على الإنترنت ، وأحدث أفلام هوليوود .

لقد ألهمت الأمثلة المفترضة للعولمة مثل الاتصالات اللاسلكية ، والتلفزيون العالمي ، وتطور الإنترنت - وسائل الإعلام التي تمس حياة أقلية صغيرة فقط من سكان العالم - قدراً كبيراً من المبالغة حول "إلغاء الحدود الإقليمية" و"اختفاء الحدود" ، وهي الخطابات التي يرفضها باسي في حين يعترف بأن معنى الحدود يخضع للتفاوض والمراجعة على نحو مستمر . وما تزال الانقسامات الهائلة بين الثروة والرخاء - تميز عالمنا ، ولكن هذه الانقسامات ترتبط الآن بالقلق الشامل إزاء الإرهاب الدولي في الوقت الذي تواجه فيه الولايات المتحدة الثرية دولاً مزقتها الحرب ومزقتها المجاعة مثل أفغانستان والصومال والعراق .

يستكشف مبحث "الجنس في عالم سياسي وأبوي" لجوان شارب كيف أثر التحول الثقافي على دراسة الجغرافيا السياسية من خلال نشوء الجغرافيا السياسية النقدية . يقوم هذا النهج بتفكيك ممارسات التطبيع للخطابات الجيوسياسية ، والطرق التي يتم بها تقسيم العالم وتسميته نصيًا وبلاغيًا ، ومعاملة هذه الممارسات كونها جغرافيات نشطة للسياسة العالمية بدلاً من كونها أوصافًا موضوعية لعالم الضرورة في الشؤون العالمية

الجيوسياسية هي السياسة الجغرافية للسعي إلى الهوية والأمن من قبل النخب الحكومية ، وهي الجغرافيا السياسية المحددة من خلال التمييزات الجنسية اليومية بين الداخل والخارج ، "نحن" و"هم" ، الخاص والعام.

تسلط أعمال شارب الضوء على أهمية العملية الدنيوية لـ "الجغرافيا السياسية الشعبية" المضمنة في الثقافة الشعبية ووسائل الإعلام الجماهيرية ، في صفحات مجلة Reader's Digest وأفلام جون واين . كما تناقش الدعامات الجنسانية للعديد من المفاهيم المركزية في الحياة السياسية من صور الأمة إلى دوافع قومية ، ومفاهيم المسؤولية ورؤى الجيش والأمن والعنف . بالنسبة لشارب ، فإن الشخصي ليس سياسيًا فحسب ، بل إنه جيوسياسي أيضًا . يستكشف المبحث الثالث ، "جغرافية ثقافة الحجم" ، الطرق التي يتم بها التفاوض على الحجم وإعادة إنتاجه في الساحة السياسية والثقافية . يركز الفصل بشكل خاص على "القفز فوق الحجم" ، المفهوم من منظور مستوحى من الماركسية كونه تجاوزًا مؤقتًا للتوترات والتناقضات التي يفرضها النظام المكاني والقياسي المهيمن .

إن العلاقات بين المحلي والإقليمي والوطني والدولي والعالمي ، وفقًا لنيوستيد وريد وسبارك ، ثابتة عمومًا ضمن نظام دائم نسبيًا من العلاقات القياسية التي تحددها جغرافيات الحكم السياسي وتراكم رأس المال . إن التحرر من هذا النظام من العلاقات القياسية من خلال إن "القفز فوق النطاق" يخلق فرصاً لمصالح معينة لتجاوز بعض المشاكل والجمود السياسي . على سبيل المثال ، يمكن للشركات أن تسحب استثماراتها من بعض المجتمعات التي تعاني من صراعات عمالية وتنتقل إلى مجتمعات حيث تكون قوة العمالة المحلية ضعيفة للغاية . وعلى النقيض من ذلك ، يمكن للحركات الاجتماعية المحلية أن تؤمم أو تدويل صراع محلي معين من أجل كسر الجمود في صراعات القوة في أماكن معينة .

يخلق القفز فوق النطاق فرصاً لتحويل علاقات القوة . وينظر المبحث في محاولتين أيديولوجيتين مختلفتين لتخيل وتعزيز المناطق العابرة للحدود الوطنية : كاسكاديا عبر الحدود الشمالية الغربية للمحيط الهادئ بين الولايات المتحدة وكندا ، والسوق المشتركة والمجتمع الكاريبي (كاريكوم) . وفي كلتا الحالتين ، تمتلئ هذه الجهود بالتناقضات وآثار "تخيلات" القفز فوق النطاق البديلة . ويتناول المبحث أيضًا القفز على المقاييس الفرعية للمهاجرين الهسبانيين الذين يعبرون الحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك والمشهد الجغرافي الثقافي الذي خلقوه للاعتراف بنضالاتهم وتخليد ذكراها من أجل تجاوز النظام السائد للعلاقات القياسية .

يطور المبحث الأخير في القسم نقدًا جيوسياسيًا نقديًا للثنائيات التي لا تشكل التفكير الجيوسياسي الأرثوذكسي فحسب ، بل والحداثة بشكل عام والحياة الحضرية المعاصرة بشكل خاص . ويزعم دالبي أن الفصل المستمر وإنكار الطبيعة على حساب "الثقافة" قد خلق أزمة بيئية كوكبية تتطلب طرقًا جديدة للتفكير والعيش . **فالبشر لا يعيشون في المدن بل في شبكات بيئية معقدة تترتب عليها تداعيات وتأثيرات كوكبية**. إنهم ليسوا على كوكب الأرض بل هم من كوكب الأرض . إن تاريخ الجغرافيا السياسية ليس تاريخاً للإمبريالية العظمى والصراعات من أجل التفوق فحسب ، بل وأيضاً **للإمبريالية البيئية** وانتصار شكل من أشكال **الحياة الحضرية غير المستدامة بيئياً** والتي تلوث الكوكب وتنشر مخاطر ذات عواقب غير معروفة . وهذا الشكل البيئي الأعمق من الجغرافيا السياسية الإمبريالية هو الذي يتطلب الكشف عنه وتحديه من قبل الجغرافيين السياسيين والثقافيين .

ان الجغرافيا السياسية الحاسمة للقرن الحادي والعشرين لا تكمن في عالم الدول بل في العالم الذي خلقته الحداثة العلمية التكنولوجية . وقد رأينا بالفعل أدلة على ذلك مع تحالف من الدول الكبرى التي أعلنت الحرب ضد شبكات الإرهاب العالمية التي تكشف عن نقاط ضعف الحداثة العلمية التكنولوجية وتسعى إلى الحصول على أسلحة الدمار الشامل التي كانت في السابق حكراً على الدول . ومن المرجح أن تستحوذ

الصراعات الدرامية ضد الإرهابيين على اهتمام وسائل الإعلام ، ولكن الصراعات البنيوية الأبطأ لمعالجة الطلب العالمي على الطاقة والتلوث الناجم عن الحداثة العلمية والتكنولوجية هي التي ستحدد التفاعل بين الجغرافيات السياسية والجيوسياسية والثقافة في القرن الحادي والعشرين .

القضايا المستقبلية

إن البحوث المستقبلية في الجغرافيا السياسية النقدية المستنيرة ثقافياً سوف تتشكل حتماً من خلال الثقافة النامية للنظام العالمي الجيوسياسي . ويبدو أن الهجمات الإرهابية التي وقعت في الحادي عشر من سبتمبر / أيلول 2001 على مركز التجارة العالمي والبنتاغون ، وما تلا ذلك من تسليم الجمرة الخبيثة إلى مبنى الكونجرس الأميركي ، قد أثارت تغييراً كبيراً في هذا النظام . لقد كان الحادي عشر من سبتمبر/أيلول حدثاً إعلامياً عالمياً أظهر تورط جمهور تلفزيوني عالمي في الصدمة التي تعرضت لها أميركا ، الأمر الذي أدى إلى تدفق كبير من التعاطف مع الولايات المتحدة . ويبدو أن الثقافة الجيوسياسية للولايات المتحدة قد تغيرت بشكل كبير، حيث تحطم شعورها بالمسافة والحصانة من العنف الروتيني في السياسة العالمية . وقد قورنت الهجمات بهجوم "بيرل هاربور" وتم قبولها على نطاق واسع كونها "جرس إنذار" للولايات المتحدة .

وفي أعقاب ذلك أعلن وزير الخارجية الأميركي كولن باول انتهاء "عصر ما بعد الحرب الباردة"، متوقعاً عصراً جديداً حددته الولايات المتحدة بوصفه القوة المهيمنة على العالم والتي تقود تحالفاً دولياً من الدول ضد شبكات الإرهاب ذات النطاق العالمي. وقد بررت الأحداث المرتبطة بهجمات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول إقرار تشريعات "مكافحة الإرهاب" في العديد من الدول ، وحفزت مستويات جديدة من الإنفاق على "الدفاع عن الوطن" ، وبلورت إجماعاً عاماً على شن عمليات عسكرية عدوانية ضد أولئك الذين يُعتَقَد أنهم يدعمون أو يساعدون "الإرهابيين" . **كما أدت هذه الأحداث إلى تحالف مفاجئ بين الولايات المتحدة وروسيا ضد شبكات الإرهاب الإسلامي المتطرف** ، حيث تعاونت الدولتان بنشاط للإطاحة بنظام طالبان في أفغانستان.

إن هذه التطورات تفرض تحديات فكرية على العاملين في مجال ثقافة الجغرافيا السياسية والنقدية . ف**أولاً** ، هناك حاجة إلى فهم ملامح وتناقضات الحالة الجيوسياسية ما بعد الحداثة ، وهي الحالة التي تتسم بـ"التهديدات غير الإقليمية" المضمنة في "مجتمع المخاطر العالمي" (بيك، 1999؛ أوتواثيل، 2000). إن الحياة المعاصرة في الدول العلمية التكنولوجية المتقدمة تعتمد على أنظمة تكنولوجية عميقة ومنتشرة ـ التدفقات المالية ، وشبكات الطاقة ، ومحطات الطاقة النووية ، وشبكات النقل ، ومجمعات معالجة المياه والصرف الصحي ، وأسواق السلع الأساسية ، والمراكز الطبية ، وأجهزة توجيه تكنولوجيا المعلومات والشبكات ـ التي كثيراً ما تكون غير مستقرة وعرضة للحوادث المتوقعة ولكنها قد تكون كارثية .

إن البنية الأساسية في الدول الصناعية المتقدمة تشكل تهديداً خطيراً للدولة والمجتمع . وكما هو واضح الآن ، فهي أيضاً عرضة بشكل كبير للنوايا الخبيثة التي قد تشنها جهات فاعلة غير حكومية مصممة على استخدام نظام النقل الجوي أو الخدمة البريدية كأسلحة ، مما قد يشكل تهديداً عاماً للدولة والمجتمع المستهدفين . والآن تشعر الدول القوية بالقلق المبرر إزاء "التهديدات غير المتكافئة" الناجمة عن أسلحة الدمار الشامل . لا يستطيع القِلة فقط تهديد الكثيرين ، بل إن المجموعات الهامشية نسبياً قد تلحق أضراراً كارثية بسكان الدول الأقوى والأكثر ثراءً . والحماية ضد مثل هذه التهديدات غير المتكافئة أمر يكاد يكون مستحيلاً ، لأن الأنظمة التقنية العلمية منتشرة ومتكاملة مع الأداء الروتيني للحياة اليومية في الدول الصناعية المتقدمة

. ومع ذلك ، فمن المرجح أن يصبح الجهد العام لتأمين هذه البنى الأساسية سمة دائمة للحياة في الدول الصناعية المتقدمة .

ثانياً، هناك حاجة إلى فهم كيف سيعمل الخطاب العالمي الجديد المهيمن حول "مكافحة الإرهاب" في سياقات جيوسياسية إقليمية حيث تستمر الصراعات الإقليمية بين الدول . كيف يمكن تعريف "الإرهاب" و"مكافحة الإرهاب" في ظروف جيوسياسية محددة ؟ هل سيعمل خطاب "مكافحة الإرهاب" بنفس الطريقة التي عمل بها خطاب مكافحة الشيوعية والاحتواء أثناء الحرب الباردة ، مما يسمح للقادة الاستبداديين والدول المحورية بإعلان أعدائهم "إرهابيين" وتبرير الحروب كونها "مكافحة إرهاب" ضرورية ؟ إن التحالف الأميركي الروسي ضد "**الإرهاب الإسلامي**" مثير للاهتمام في هذا الصدد ، حيث صورت إدارة بوتن حربها ضد جمهورية الشيشان المنشقة كونها تنوعًا وطنيًا خاصًا بها على موضوع عالمي . تصبح مكافحة الإرهاب ذريعة لانتهاكات حقوق الإنسان . ولقد اتسمت الصراعات في البلقان ، وإسرائيل وفلسطين ، وسريلانكا ، والهند وباكستان ، بتوطينات تكتيكية للخطاب العالمي لمكافحة الإرهاب . وما إذا **كانت الولايات المتحدة سوف تفقد تدريجياً حماسها لحملتها الصليبية العالمية ضد الإرهاب** مع تزايد التكاليف ، هو أيضاً سؤال مفتوح .

و**أخيراً**، هناك مسألة الهوية والاختلاف . فالهويات ، كما تؤكد الفصول في هذا القسم ، هي فهم ثقافي أدائي للذات والآخر ، والأصدقاء والأعداء . ومن بين العواقب المترتبة على أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول والحرب التي تلتها ضد تنظيم القاعدة وحركة طالبان في أفغانستان أنها أدت إلى تجديد القصص الحضارية والدينية حول الهوية والاختلاف (هنتنغتون، 1997) . والإسلام الراديكالي هو الخارج الذي يتم من خلاله إعادة تصور وإعادة تشكيل مجتمع جديد من "الدول المتحضرة" . وفي أوروبا ، أسفر هذا السيناريو عن تقليص الخطاب القائل بأن أوروبا في مواجهة روسيا ، وإحياء الخطاب القائل **بأن أوروبا في مواجهة الإسلام** . والآن أصبحت روسيا والولايات المتحدة وأوروبا جزءاً من **التحالف الدولي "للدول المتحضرة" ضد الإسلام المتطرف** . بل إن البعض يقترح أن تنضم روسيا في وقت ما في المستقبل إلى حلف شمال الأطلسي ، وهو التحالف الذي أنشئ لاحتواء قوتها . وفي الأشهر التي أعقبت الحادي عشر من سبتمبر/أيلول ، اقترح رئيس الوزراء الإيطالي سيلفيو برلسكوني أن الغرب متفوق بطبيعته على العالم الإسلامي وأنه "ملزم بغزو الشعوب الجديدة وفرض ثقافتها عليها" . لقد فعلت ذلك مع العالم الشيوعي وجزء من العالم الإسلامي ، ولكن للأسف فإن جزءاً من العالم الإسلامي متأخر عن ذلك بـ 1400 عام (مقتبس من آش، 2001). وفي حين نأى بيرلسكوني بنفسه بعد ذلك عن هذه التصريحات ، فإنه مع ذلك مدين بجزء من نجاحه الانتخابي إلى استخدامه البارع للمخاوف الواسعة النطاق من "الغزو السري" لإيطاليا من جانب المهاجرين ، وخاصة المسلمين . ويطرح سياسيون آخرون مواضيع مماثلة ، حيث يحولون التركيز على الحدود الحضارية لأوروبا من الشرق إلى الجنوب .

إن هذه الاتجاهات ما زالت في بداياتها ، وهي لا تمثل سوى عدد قليل من القضايا التي أثارتها الجغرافيا السياسية الثقافية التي أفرزتها أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول . ومن المرجح أن تهيمن الصراعات الدرامية ضد أعمال الإرهاب المذهلة على وسائل الإعلام دوماً ، ولكن الاتجاهات البنيوية الأبطأ المرتبطة بالحداثة العلمية التكنولوجية ـ التغيير العلمي التكنولوجي المستمر، والعولمة الرأسمالية المضطربة ، وأسواق الطاقة غير المستقرة ، والدول والأنظمة الفاشلة ، والأمراض الناشئة ، وأسلحة الدمار الشامل المتكاثرة ، والتدهور البيئي ـ واستمرار الصراعات الإقليمية داخل الدول القومية وبينها في النظام الدولي

المشترك هي التي سوف تستمر في تحديد حدود الصراعات حول ثقافة الجغرافيا السياسية في القرن الحادي والعشرين .